الدعاء الاقتصادى

من إعـــداد

دكتور/ محمد عبد الحليم عمر

أستاذ المحاسبة

كلية التجارة – جامعة الأزهر

مدير المركز

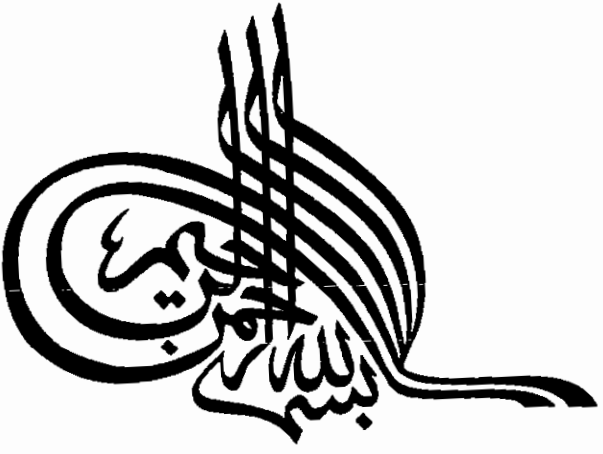
بسم الله الرحمن الرحيم

3

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٦٨]

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[غافر ٦٠]

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾

[الفرقان ٧٧]

« من لم يدع الله سبحانه غضب عليه »

(حديث شريف – سنن ابن ماجه)

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدعاء الاقتصادى ... غريب فى عنوانه ... عجيب فى موضوعه ... نظراً لما استقر فى الأذهان، وتشرب به الوجدان، من أن الاقتصاد وموضوعه المال يرتكز على الشروط المادية وعلاقة السببية والتى تتطلب بذل الجهد العقلى والبدنى فى الموارد لتحقيق الدخل والثروة، والدعاء بوصفه طلباً باللسان ليس فيه بذل جهد ولا سعى.

فلماذا القول بالدعاء الاقتصادى ؟!

إن دوافع تناول هذا الموضوع تنطلق مما يلى:

أولا: أننا نؤمن بالدين الإسلامى، ومن مقتضيات الإيمان التصديق بما جاء به والدعاء مما جاء به الإسلام وأمر به الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: أنه من بين صور الدعاء كما ورد فى الكتاب والسنة الأدعية الاقتصادية.

ثالثا: أن من أهم خصائص الاقتصاد الإسلامى استناده إلى أحكام الشريعة الإسلامية وتوجيهات وقيم الإسلام، والاقتصاد باعتباره ممارسة هو السلوك الإنسانى فى التصرف فى الأموال، وباعتباره علما يبحث فى كيفية ممارسة هذا السلوك واستخلاص القواعد والعوامل التى تحكمه والعمل على بيان التصرف السليم، والسلوك الإنسانى تحكمه عوامل مادية وعوامل معنوية وكل منها تتطلب شروطاً لحدوثها

ولتفعيلها، فالعوامل المادية تتطلب شروطاً مادية أقرها الإسلام، والعوامل المعنوية تتطلب شروطاً إيمانية تتمثل فى ما وقر فى النفس وهى ذات أثر كبير فى توجيه وضبط السلوك الإنسانى، وهذه الشروط الإيمانية فى الإسلام ترتكز على الإيمان بالله عزوجل، وبالتالى يلزم فى البناء المعرفى والسلوكى للاقتصاد الإسلامى أن يقوم على كلا النوعين من الشروط (المادية والإيمانية) وإذا كانت الشروط المادية معروفة وحاضرة، فإنه يلزم التعرف على هذه الشروط الإيمانية والعمل بها ومن بين هذه الشروط الدعاء باعتباره كما قال الرسول ﷺ مخ العبادة.

رابعا: إن واقع الاقتصاد الوضعى الذى يعتبر الشروط المادية فقط غير ناجح، ودليل ذلك على المستوى الفكرى فشل الفكر الشيوعى، وتبدل المدارس الفكرية فى الاقتصاد الرأسمالى واختلافها والخروج أحياناً على الأيدولوجية التى تقوم عليها، أما على المستوى التطبيقى فلقد أنهارت الشيوعية، وفشلت الرأسمالية فى تحقيق أحد هدفى الاقتصاد وهو العدالة الاجتماعية فضلاً عن ما أفرز تطبيقها من أزمات ومشكلات عديدة، أصبح معه ٨٠٪ من سكان العالم يعانون الحرمان والبؤس، ٢٠٪ من السكان الأغنياء يفتقدون البهجة رغم وفرة الموارد والبحبوحة فى العيش، هذا فضلاً على أن من إهمالهم للشروط الإيمانية الخلل الحادث فى التوازن بين إشباع الحاجات الجسمية والفقر فى إشباع الحاجات النفسية.

ولقد عانى العالم الإسلامى من اتباعه وتنقله بين النظامين الرأسمالى والشيوعى ولم يجن من وراء ذلك سوى الثمار الحامضة.

لذلك ليس من الضرورى السير فى البناء الفكرى والتطبيقى لاقتصادنا على هدى كل ما جاء به الاقتصاد الوضعى، بل يلزم أن يقوم هذا البناء على أحكام وتوجيهات ديننا فى الاقتصاد والتى تجمع بين الشروط المادية السديدة والشروط الإيمانية الرشيدة.

ومن هنـــا

كان عقد هذه الحلقة التى هى بمثابة مجلس علم لمناقشة هذه القضية، والتى أعدت هذه الورقة التى تتناول المعلومات الأساسية للموضوع للنقاش حولها وبلورتها.

ولقد نظمت الورقة فى المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالدعاء ومكانته فى الإسلام

المبحث الثانى: التفسير الاقتصادى للدعاء

المبحث الثالث: نماذج من الأدعية الاقتصادية فى الكتاب والسنة

المبحث الأول
التعريف بالدعاء
ومكانته فى الإسلام

أولا: مفهوم الدعاء وحقيقته:

الدعاء لغة[1] على إطلاقه هو: النداء، ومع الله عزوجل هو: العبادة، والاستغاثة، والثناء عليه، والتهليل، والتحميد، والرغبة إلى الله عزوجل، وهو فى الاصطلاح العام الكلام الإنشائى الدال على الطلب مع الخضوع[2]، أما فى الاصطلاح الخاص فهو: استدعاء العبد ربه عزوجل العناية واستمداده إياه المعونة[3]، ولذا قال الخطابى: «وحقيقته ـ أى الدعاء إلى الله ـ إظهار الافتقار إلى الله والتبرؤ عن الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عزوجل وإضافة الجود والكرم إليه»[4].

---

(١) لسان العرب لابن منظور- نشر دار المعارف- ١٣٨٥/١٦-١٩٨٨

(٢) الموسوعة الفقهية- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت- ٢٥٦/٢٠.

(٣) شأن الدعاء- للخطابى- دار المأمون للتراث بدمشق- ط١- ١٩٨٤م صـ ٤ .

(٤) المرجع السابق

ثانيا: مكانة الدعاء فى الإسلام:

ويمكن التعرف على هذه المكانة من بعض الوجوه منها ما يلى:

أ- أن الدعاء عبادة لله عزوجل حيث يقول الرسول ﷺ «الدعاء هو العبادة» وفى رواية أنه قال: «إن الدعاء هى العبادة وقرأ: وقال ربكم أدعونى استجيب لكم»[1] وفى رواية ثالثة «الدعاء مخ العبادة»[2].

ب- أن حكم الدعاء الاستحباب بوجه عام ويكون واجباً كالدعاء الذى تضمنته سورة الفاتحة أثناء الصلاة والأدعية فى صلاة الجنازة وفى خطبة الجمعة[3].

جـ- أن للدعاء فضل كبير إذ يكفى أن الله سبحانه وتعالى أمر به ووعد بالإجابة فى قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4] وأمر به سبحانه فى تعريض لمن يستكبر عن الدعاء كما جاء فى قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[5].

---

(١) سنن ابن ماجه- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى- دار إحياء الكتب العربية- ١٢٥٨/٢ حديث رقم ١٢٥٨ .

(٢) سنن الترمذى- مطبعة الحلبى- ٤٥٦/٥

(٣) الموسوعة الفقهية- مرجع سابق ٢٥٧/٥ .

(٤) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٥) الآية ٦٠ من سورة غافر

وقوله عزوجل لمن يستعين بغير الله فى الدعاء ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِين زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾[1].

ويقول عز من قائل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ «من لم يدع الله سبحانه، غضب عليه»[3].

ثالثا: آداب وشروط وفوائد الدعاء:

للعلماء تصنيفات متعددة فى ذلك استقاء من الكتاب والسنة نكتفى منها بالآتى:

أ- الدعاء عبادة: ومن مقتضيات العبادة الثناء على الله عزوجل وإظهار التضرع والخشوع، والعلم بانه واقف بين يدى الله عزوجل وأنه يطلب منه المعونة فليعقل ما يقول ولا يلقى الكلام بدون فهم أو وعى وإدراك ويقين.

ب- الدعاء بما يتفق مع أحكام وتوجيهات الإسلام، فلا يدعو بمنكر ولا معصية ولا إثم كما جاء فى الحديث الشريف «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»[4].

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الإسراء

(٢) الآية ٧٧ من سورة الفرقان

(٣) سنن ابن ماجه- ١٢٥٨/٢ حديث رقم ٣٨٢٧ .

(٤) سنن الترمذى- نشر مطبعة الحلبى- ٥٦٦/٥

جـ عدم الاعتداء فى الدعاء لقوله تعالى ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] ويقول الرسول ﷺ «إنه سيكون قوماً يعتدون فى الدعاء»[2] وفسر الاعتداء بوجوه منها[3]:

- الجهرة وكثرة الصياح
- الدعاء بالشر على نفسه أو الغير
- الدعاء بمستحيل مثل أن تكون له منزلة الأنبياء أو العافية مدى الحياة أو الاستغناء عن الهواء والتنفس.

د ـ البعد عن ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه وأن يكون سعيه وكسبه وماله حلالا، حيث جاء فى الحديث الشريف بعدما قال الرسول ﷺ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» ثم ذكر أن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وتغذى بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك»[4].

هـ إن من فوائد الدعاء، إجابة الله عزوجل للداعى إن استكمل شروطه وروعيت آدابه، وليس بالضرورة أن تكون الإجابة على وفق ما طلب

---

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف

(٢) سنن ابن ماجه- حديث رقم ٣٨٦٤

(٣) ابن تيمية- اقتضاء الصراط المستقيم- مكتبة السنة المحمدية- صـ ٣٥٢، تفسير القرطبى ٢٢٦/٧

(٤) مسند الإمام احمد- تحقيق السيد أبو المعاطى وآخرين- نشر عالم الكتب ط١/٢٠٠٠- ٢٦٣/٣-٢٦٤ حديث رقم ٨٣٣٠

العبد إذ قد يطلب ما يظنه خيراً له ولكنه فى الحقيقة شر له، فقصة ثعلبة معروفة لما سأل النبى ﷺ أن يدعو له بكثرة المال ونهاه النبى ﷺ عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له[1]، ورزق المال الوفير وكان سبب شقائه فى الدنيا والآخرة، ولذا قال الله سبحانه وتعالى فى حقه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

فليدع الإنسان ربه وهو موقن بالإجابة ويترك لله تحقيق ما يصلحه وينفعه، فلقد قال الرسول ﷺ «ما من مسلم ينصب وجهه لله عزوجل فى مسألة إلا أعطاها إياه، إما أن يعجلها له فى الدنيا، وإما أن يدخرها له»[3].

ويكفى فى فائدة الدعاء أنه وسيلة يلجأ بها الإنسان لربه وقت الشدة والاضطرار وحالة الضعف وعجز الخلق أن يعينوه، ويقرب العبد من ربه ويرد قلبه لخالقه عزوجل فإن استجاب له سبحانه كان بها وإلا فإن الله بقدرته يعوضه، وإن لم يكن غير ذلك فإن الدعاء يعطى سَكينة فى النفس وانشراحاً فى الصدر وصبراً يسهل معه احتمال ثقل ما يجرى عليه، وبالتالى فلا يعدم فائدة دعائه بأى وجه[4].

---

(١) ابن تيمية- اقتضاء الصراط المستقيم- صـ٣٤٨ .

(٢) الآيتان ٧٥-٧٦ من سورة التوبة.

(٣) مسند الإمام أحمد- حديث رقم ٩٧٨٤- ٣/٥٧٧

(٤) شأن الدعاء للخطابى- صـ١٣- إحياء علوم الدين للغزالى- ١/٣٣٧ .

رابعا: الدعاء والقضاء والقدر:

إن قضية القضاء والقدر وصلتها بأفعال الناس من القضايا الشائكة التى اختلف فيها العلماء ونشأت حولها فرق أخذت كل فرقة منها موقفاً مختلفاً بين الجبرية والاختيار والوسطية بينهما.

ولسنا فى معرض التفصيل فى هذه القضية التى أفاض فيها العلماء ولكننا نتناول منها ما يتصل بالدعاء فى الآتى:

أ- لقد ناقش العلماء الأوائل هذه القضية واختلفوا إلى ثلاث مذاهب[1]:

١- المذهب الأول: قالوا لا معنى للدعاء ولا طائل له، لأن الأقدار سابقة، والأقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئاً منها، ولا فائدة من الدعاء.

٢- المذهب الثانى: قالوا الدعاء واجب وهو يدفع البلاء ويرد القضاء، واحتجوا بما روى عن النبى ﷺ أنه «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء».

٣- المذهب الثالث: قالوا: إن الدعاء واجب إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء.

ب- إن الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الاعتقاد كما جاء فى حديث جبريل حينما سأل النبى ﷺ قائلاً: «فأخبرنى عن الإيمان: قال: أن

---

(١) شأن الدعاء للخطابى- صـ٧-١١

تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

والدعاء حق، أمر به ربنا عزوجل فى كتابه الكريم فى آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] وبالتالى فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن ورده وهذا فساد كبير.

جـ القضاء: هو إرادة الله النافذة فى الخلق وإحاطته بها، والقدر: هو قضاء الله الأزلى فى الأشياء، وإيجادها على وفق هذا القضاء وعند حلول أوقاتها مع ربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات فى إحكام وفق سنن إلهية خاضعة خضوعاً مطلقاً لمشيئة الله عزوجل[2].

وفي تعريف آخر: «ما القضاء والقدر اللذان ورد ذكرهما فى القرآن سوى النظام العام الذى خلق الله عليه الكون وربط فيه بين الأسباب والنتائج والمقدمات، سنة كونية دائمة لا تتخلف، وكان من بين تلك السنن أن خلق الله الإنسان فى فعله مختار غير مقهور ولا مجبور»[3].

---

(١) صحيح مسلم- مطبعة عيسى الحلبي- ٢٢/١ .

(٢) د. فاروق أحمد الدسوقى- القضاء والقدر فى الإسلام- المكتب الإسلامى ببيروت- ط٢- ١٩٨٦-٣٢٣/١

(٣) الشيخ محمود شلتوت- الإسلام عقيدة وشريعة- دار الشروق- ط١٢- ١٩٨٣ صـ٥٠

د- إن سنن الله تعالى القائمة على القضاء والقدر نوعان[1]:

١. سنن تكوينية أو تصريفية: وهو ما تخضع له جميع الكائنات فى وجودها المادى، وهى سنن إجبارية تجرى على جميع الكائنات بما فيها الإنسان مثل الحياة والموت ووظائف الأعضاء كما يقول ربنا ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

٢. سنن تشريعية أو تكليفية: وهى تجرى على الإنسان فى أفعاله وخاضعة لإرادته وقدراته وفى حدود البيئة المحيطة بالإنسان زمانا ومكانا، وارتباطها بالقضاء والقدر يظهر فى الأسباب والمسببات التى خلقها الله سبحانه وتعالى ونظم الكون على أساسها، وهى تصدق على الإنسان وعلى المجتمع ككل، ومن أمثلة هذه السنن:

الصلاح، فهو سبب للتقدم، والظلم سبب للانهيار والهلاك سنن إلهية وقدر ربانى كما قال ربنا عزوجل ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[3].

---

(١) د. عبد الستار فتح الله- المنهاج القرآنى فى التشريع- ١٩٧٥ صـ٣٤٨-٣٥٣

- د. عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية فى الأمم والجماعات والأفراد- دار الرسالة- ط٣- ٢٠٠٢- صـ٧-١٤.

- محمد هبشور- سنن القرآن فى قيام الحضارات وسقوطها- المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٩٩٦- صـ٢٧

(٢) الآية ٦٨ من سورة غافر.

(٣) الآية ١٣ من سورة يونس

وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1].

ويقول عز من قائل بصفة عامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2].

هـ وفي ضوء كل ما سبق نأتي إلى موقع الدعاء الاقتصادى من القضاء والقدر فنقول: إذا كان الرزق لا يحدث إلا وفق ما قدر الله سبحانه وتعالى عن طريق قضائه وقدره بربط تحصيله بأسبابه فى صورة سنن إلهية لا تتغير ولا تتبدل بالنسبة لكل البشر، وأن هذه الأسباب متعددة ومتشابكة وأنها ليست ظاهرة لكل الناس ولا فى مكنتهم، دليل ذلك من الواقع أن الكل يرغب فى زيادة دخله وثروته ويحاول إتباع الأسباب المادية المؤدية لذلك ولكنه إما أن يأخذ بأسباب وهمية أو يقصر علمه بالأسباب الحقيقية أو لا تمكنه قدراته من الوصول إليها، أو حتى يصل للأسباب الحقيقية ويحقق الثروة ولكنها لا تحقق له الفائدة المرجوة بل تكون وبالاً عليه إلى غير ذلك من الصور التى نعايشها.

ومن هنا يكون الدعاء بطلب الهداية من الله عزوجل إلى الطرق والأسباب التى جرت سنة الله تعالى بأن تحصل الرغائب بها، وتوفيقه

---

(١) الآية ١١٧ من سورة هود

(٢) الآية ١١ من سورة هود

ومعونته وإعانته عليها، ومن عنايته سبحانه الهداية إلى سبب جديد وإلهام النفس العمل المستفيد[1]، إذن فالدعاء يتفق مع القضاء والقدر ولا تناقض بينهما وأن الدعاء باعتباره من مقتضيات الإيمان يعد من الشروط الإيمانية وهو وثيق الصلة بالشروط المادية (الأخذ بالأسباب) وهو بذلك يفيد اقتصادياً كما سنرى في المبحث التالي الذي يناقش التفسير الاقتصادي للدعاء.

(١) تفسير المنار- محمد رشيد رضا- ٢/١٣٧ .

المبحث الثانى
التفسير الاقتصادى للدعاء

أولاً: معنى الدعاء الاقتصادى:

هو الطلب من الله عز وجل الحظ فى الدنيا فى مجال المال أو الثروة سواء فى الجانب المادى الكمى بأن يهديه الله سبحانه إلى الأسباب الصحيحة ويعينه على الأخذ بها، أو الجانب الكيفى بتعظيم الانتفاع منها. وهو ما يمكن أن يطلق عليه المصطلح الإسلامى «البركة»، وسواء فى الجانب الإيجابى بما ذكرناه، أو الجانب السلبى بالوقاية من المخاطر الاقتصادية أو التخفيف منها وتحملها.

ولقد قسم بعض العلماء الدعاء على ثلاثة أوجه وجعل الدعاء الاقتصادى أحد هذه الوجوه حيث جاء: «وقال أبو إسحق فى قوله تعالى ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1] ـ معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه: فضرب منها، توحيده والثناء عليه كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوت بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد، ومثله قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ..﴾[2] فهذا ضرب من الدعاء، والضرب الثانى:

---

(١) البقرة: من الآية ١٨٦

(٢) غافر: من الآية ٦٠

مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه، كقولك: اللهم أغفر لنا، والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالاً وولداً»[1].

(١) لسان العرب لابن منظور – دار المعارف – ١٣٨٥/١٦.

ثانياً: الشروط الايمانية والشروط المادية والاقتصاد:

لقد سبق القول إن كل شيء يجرى فى الكون بقدر الله سبحانه وتعالى وأن من قدر الله ربط الأسباب بالمسببات وفق السنن الإلهية التى لا تتبدل ولا تتغير وتصدق على جميع خلقه، ولابد للأسباب لكى تؤدى إلى نتائجها من شروط وانتفاء الموانع[1] فعلى سبيل المثال فإن النشاط الاقتصادى الزراعى له أسباب تتمثل فى بذل الجهد لحرث الأرض وإلقاء البذر والرى وكل أعمال الزراعة، ولكى تؤدى هذه الأسباب عملها فى الإنبات لابد من وجود شروط مثل صلاحية الأرض للإنبات وصلاحية البذر وتوفير الماء الكافى، كما لابد من انتفاء الموانع لخروج الحب والثمر كانتفاء الآفات التى تهلك الزرع أو الثمر أو تمنع نموه[2].

ويؤكد ذلك الشاطبى بقوله: «وأما إذا لم تفعل الأسباب على ما ينبغى ولا استكملت شرائطها، ولم تنتف موانعها فلا تقع مسبباتها شاء المكلف أو آبى، لأن المسببات ليس وقوعها أو عدم وقوعها لاختياره، وأيضاً فإن الشارع لم يجعلها أسباباً مقتضية لمسبباتها إلا مع وجود شرائطها وانتفاء موانعها، فإذا لم تتوفر لم يستكمل السبب أن يكون سبباً شرعياً، سواء

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية – طبعة الرياض – ١٦٧/٨.

(٢) د. عبد الكريم زيدان «السنن الإلهية فى الأمم والجماعات والأفراد» مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م – صـ٢٨.

علينا أقلنا: إن الشروط وانتفاء الموانع أجزاء أسباب أم لا، فالثمرة واحدة»[1].

وبعد هذا التقديم للشروط وموقعها من الأسباب ننتقل إلى توضيح معاني الشروط الإيمانية والشروط المادية وموقف الإسلام منهما.

أ ـ يعنى بالشروط الإيمانية: الإيمان بالله عزوجل وعبادته وما يتطلبه ذلك من اتباع أوامره واجتناب نواهيه في جميع مجالات الحياة ومنها الاقتصاد الذى ورد في القرآن عنه حوالى ٤٠٠٠ موطن اقتصادى تشمل أحكاماً وتوجيهات للسلوك الاقتصادى.

والدعاء باعتباره عبادة لله عز وجل أمر به سبحانه من الشروط الإيمانية.

أما الشروط المادية: فيعنى بها بذل الجهد واتخاذ القرارات السليمة والإجراءات العملية اللازمة لكى تؤدى الأسباب المادية إلى نتائجها في زيادة الإنتاج والثروة.

ب ـ يقوم المنهج الإسلامى على ضرورة أخذ كل من الشروط الإيمانية والشروط المادية معاً في كل أمور الحياة ومنها الاقتصاد، ومن أدلة ذلك ما يلى:

١ـ إن الله عز وجل ربط بين الإيمان (الشروط الإيمانية) والعمل الصالح (الشروط المادية) لتحقيق الحياة الطيبة التى يتوفر فيها رغد العيش

---

(١) الموافقات للشاطبى– دار المعرفة– بيروت– ٢١٨/١.

الذى يتحقق بالإشباع الجسمى والإشباع النفسى أو الروحى معا حيث يقول عز وجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً.....﴾[1].

ويلاحظ هنا ما يلى:

- أن الله سبحانه وتعالى جعل شرط الوصول إلى الحياة الطيبة الإيمان والعمل الصالح معاً.
- أنه سبحانه نسب تحقيق الحياة الطيبة لذاته حقيقة وعلى العبد الأتيان بالشروط الإيمانية والمادية.
- أنه سبحانه قدم العمل (الشروط المادية) على الإيمان (الشروط الإيمانية).
- أنه سبحانه وصف العمل بالصالح الذى يتضمن بذل الجهد والأخذ بالأسباب السليمة وبكونه ملتزماً بأوامر الله تعالى فى التصرف فى المال.
- أنه سبحانه جعل الإيمان شرطاً مع العمل للحياة الطيبة، لأن العمل بدون إيمان يمكن أن يؤدى إلى وفرة فى الموارد والإنتاج والثروة ولكنه لن يحقق الحياة الطيبة حيث يشبع الحاجات الجسمية فقط وليس الروحية.

---

(١) النحل: من الآية ٩٧.

٢ـ إن الربط وثيق وعضوى بين الشروط الإيمانية والشروط المادية، فالشروط المادية متضمنة فى الشروط الإيمانية، لأن الأخذ بالأسباب إيمان بالقضاء والقدر. كما أن الشروط الإيمانية متضمنه فى الشروط المادية، إذ من مقتضيات الإيمان بالله عزوجل اتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومن أوامره سبحانه وتعالى السعى لكسب الرزق، وبذل الجهد لإعمار الأرض كما جاء فى قوله تعالى: ﴿... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ..﴾[١]. وقوله عز وجل ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾[٢] أى طلب منكم عمارتها بالزروع والغرس والبناء، والطلب المطلق من الله يدل على الوجوب.

جـ أهمية وحدود عمل الشروط الإيمانية اقتصادياً:

١ـ من المعروف أن الهدف من الاقتصاد هو إشباع الحاجات الإنسانية من الموارد، وأن هذه الحاجات نوعان مادية جسمية، وروحية نفسية، ولا يمكن تحقيق الحياة الطيبة والرفاهية بدون إشباع الحاجتين، لأن السعادة كما أصبح معروفاً الآن بصفة عامة هى مظهر من مظاهر راحة البال التى عبر عنها القرآن بالنفس المطمئنة، وهى مما لا يمكن تحقيقه إلا إذا كانت حياة الفرد منسجمة مع طبيعته الداخلية، وهذا يتحقق حين يتم إشباع كل من الحاجات الروحية والمادية لشخصيته على نحو كاف، وبما أن الناحية المادية والناحية الروحية لبستا هويتين

---

(١) الملك: من الآية ١٥.

(٢) هو: من الآية ٦١.

منفصلتين، فإن الإشباع المطلوب لا يحدث إلا إذا تم إدخال البعد الروحي في جميع المساعي المادية لاعطائها معنى وغاية[1].

٢- إن أهمية الشروط الإيمانية تبرز في أنها بجانب الإشباع الروحي تؤدي إلى تنظيم الجانب الكمي والكيفي في هذا الناتج وهو ما عبر عنه القرآن بالبركة في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾[2]. فأثر البركة في الجانب الكمي يظهر في أن يهيئ الله سبحانه وتعالى العوامل الخارجية التي تؤثر في الإنتاج مثل المناخ الطيب لأن من معاني البركة النماء والزيادة[3]، أما أثر البركة الكيفي وهو الأهم فيتمثل في تعظيم المنافع من نفس القدر أو الكمية من الموارد إذ من معاني البركة الكثرة في كل خير[4]، وهو المقصود من الحصول على الموارد بشكل عام حتى تتحقق الكفاءة الاقتصادية التي هي أحد هدفين من أهداف الاقتصاد بجانب العدالة، ذلك أن الشائع في قياس الكفاءة هو أن تكون المخرجات أكبر من المدخلات، وإذا نظرنا بمنظور مادي بحت لهذه المعادلة فإنه يستحيل تحقيق الكفاءة لأن أهم مبدأ في الفيزياء هو أن

---

(١) د. محمد عمر شبرا – الإسلام والتحدي الاقتصادي – مرجع سابق – صـ٤٠٣.

(٢) الأعراف: من الآية ٩٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور – ٤/٢٦٥، ٢٦٦

(٤) لسان العرب لابن منظور – ٤/٢٦٥، ٢٦٦

المادة لا تزداد ولا تفنى، فإجمالى الناتج المادى يكون دائماً مساوياً لإجمال المدخلات[1]. مثال ذلك لو صنعنا باباً من حديد واستخدامنا فيه كمدخلات ١٠٠ كجم خامات (حديد وأكسسوارات) فإن المخرجات ممثلة فى الباب المصنوع تظل ١٠٠ كجم إن لم تنقص بالعادم والهالك أثناء التشغيل، ولذا فإن المقياس الحقيقى للكفاءة الاقتصادية هو النسبة بين الناتج النافع وإجمالى المدخلات، وهذا النفع يكون باحلال البركة فى المخرجات.

٣- ومن جانب آخر فإن الشروط الإيمانية تحقق ليس فقط الرفاهية الشخصية بل تحقق الرفاهية الاجتماعية لأن من مقتضيات الإيمان أداء حقوق الله فى المال، وحق الله فى التصور الإسلامى هو حق المجتمع يعطى لمن حددهم الله سبحانه وتعالى من المحتاجين والمحرومين ليعم الخير على الجميع وتتحقق العدالة المفقودة فى ظل النظم الاقتصادية الوضعية.

٤- إن الشروط المادية لازمة شرعاً وعقلاً لتحقيق الوفرة، ولكنها وحدها ليست كافية لتحقيق الحياة الطيبة وهذا ما نلاحظة فى عالم اليوم الذى أصبحت الرأسمالية فيه هى النظام السائد فى ظل العولمة ذلك أن الرأسمالية وكل النظم الاقتصادية الغربية تقوم على عدة ركائز منها مايلى:

---

(١) د. محمد عمر شبرا – الإسلام والتحدى الاقتصادى – مرجع سابق صـ٣٦.

- الركيزة الأولى: العلمانية التى تقوم على الفصل بين الدين والدنيا، وتقول بأن الدين والأخلاق لا يمتان بصلة إلى مشاكل الإنسان الاقتصادية.
- الركيزة الثانية: المادية، التى تقوم على أن الثروة والملذات الحسية والمسرات الحسية هى القيم الوحيدة التى يجب أن يسعى المرء لتحقيقها.
- الركيزة الثالثة: الحتمية أو الجبرية، التى تنطوى على الفكرة القائلة بأن جميع الوقائع فى الكون المادى وبالتالى فى التاريخ البشرى أيضاً مرهونه ومشروطه بصورة مطلقة بأسبابها المادية.
- الركيزة الرابعة: الأنانية ممثلة فى السعى نحو تحقيق المصلحة الخاصة بكل السبل.

وإذا كان الاقتصاد القائم على الشروط المادية فقط قد حقق وفرة مادية فى الموارد والإنتاج والثروات، إلا أنه صاحب ذلك وبنفس القدر مشكلات وأزمات خانقة، فالراصد لواقع الاقتصاد اليوم يجد أنه وفى كل البلاد يعانى من اختلالات واضحة مثل عدم التوازن فى الموازنات العامة وفى ميزان المدفوعات وعدم استقرار سوق الصرف الأجنبي والتقلبات فى القوة الشرائية للنقود وتزايد الدين العام والبطالة والتضخم والتلوث وكثرة النزاع والحروب لأسباب اقتصادية، وكل ذلك أدى إلى اتساع نطاق الفقر وزيادة حدته والمنافسة القاتلة التى أفرزت ممارسات غير أخلاقية على نطاق واسع وعلى رأسها الفساد وغسيل الأموال وخيانة

الأمانة من مجالس إدارات الشركات ومراقبى الحسابات.. إلى غير ذلك من المشكلات والأزمات التى نتج عنها في النهاية كثرة كثيرة حوالى ٨٠٪ من سكان العالم يعانون الفقر والحرمان والبؤس، وقلة قليلة ٢٠٪ من سكان العالم الأغنياء رغم وفرة الموارد فإنهم يعانون من فقدان البهجة والسعادة والحياة الهانئة وهذا ما عبر عنه «تيبور سيكتوفسكى» فى كتابه: «The Joyless Economy» بقوله: «إن الفقر الموجود فى وسط الوفرة والبحبوحة الخالية من البهجة، إن هما إلا أعراض لاضطراب عميق[١].

ويؤكد ذلك شهادات واقعية لبعض العلماء الاقتصاد الغربيين[٢] من أمثال:

ريتشارد استرلين Richard Easterlin الذى أجرى ٣٠ مسحاً فى ١٩ من البلدان المتقدمة والبلدان النامية خلص منها أن البلدان الغنية ليست عادة أكثر سعادة من البلدان الفقيرة، رغم وفرة الموارد، وفى شهادة أخرى يقول رالف داهر ندروف Ralf Dahrendrof متسائلاً: لماذا لا يشعر هذا العدد الكبير من المواطنين فى المجتمعات الغنية بالسعادة بعد أربعة عقود من السلم والازدهار؟ ولماذ يكثر الضيق والضنك مع

---

(١) د. محمد عمر شبرا – الإسلام والتحدى الاقتصادى – مرجع سابق – صـ٤٣.

(٢) المرجع السابق – صـ٤٠٢-٤٠٣.

وجود كل هذه الوفرة؟ والإجابة على ذلك واضحة وهى: لأنهم اقتصروا على الشروط المادية فقط وأهملوا الشروط الإيمانية.

ونخلص من كل ذلك بالآتى:

١- أن الشروط الإيمانية والشروط المادية مطلوبان معاً إسلامياً لتحقيق الرخاء الاقتصادى ورغد العيش والحياة الطيبة.

٢- أن عدم الأخذ بالشروط المادية على خير وجه طعن فى الإيمان بالقضاء والقدر الذى منه الأسباب والمسببات.

٣- إن عدم الأخذ بالشروط الإيمانية طعن فى العقيدة والإيمان وإنكار لما جاء فى القرآن بربط الحياة الطيبة بالإيمان.

٤- إن الاقتصار على الشروط المادية وحدها وإن كان يحقق الوفرة المادية والتى تشبع الحاجات الجسمية إلى أنه لا يحقق الإشباع الروحى والنفسى المطلوب لتحقيق الحياة الطيبة والسعادة فضلاً عن المشكلات والأزمات الاقتصادية.

٥- إن الشروط الإيمانية وحدها دون أن يصاحبها الأخذ بالشروط المادية لا يحقق شيئاً للإنسان فى المجال الاقتصادي.

هذا عن الشروط الإيمانية عامة، أما الدعاء خاصة فآثاره الاقتصادية تذكرها الفقرات التالية.

ثالثاً: الدعاء واتخاذ القرارات الاقتصادية:

إن اتخاذ القرارات يعنى به الاختيار من بين البدائل المتاحة، والاقتصاد فى حقيقته يقوم على اتخاذ القرارات، ففى التعريف الذى يحظى بقبول عام «أن الاقتصاد ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذى يهتم بالطريقة التى يختار بها أفراد المجتمع تخصيص الموارد النادرة نسبياً بين الاستعمالات البديلة لإشباع رغبات أعضاء المجتمع»[1].

وعملية اتخاذ القرارات تبنى على الظن الغالب أو كما يقول علماء الإدارة تتخذ فى ظل عدم التأكد، وتظهر مدى صحة القرار فى المستقبل عندما يتم تنفيذه، والمستقبل مجهول للإنسان، ولذا يعيش متخذ القرار بين الرجاء والأمل أن يتحقق ما يهدف إليه، وبين القلق والخوف بعدم تحققه، حتى رغم اتخاذ كل الشروط المادية من دراسة الجدوى وتهيئة الإمكانيات، وهنا يأتى الدعاء لله عز وجل الذى يعلم الغيب فيطلب الإنسان من ربه الهداية هداية الإرشاد والدلالة فى اتخاذ القرار السليم وهداية التأييد والتوفيق فى أن يؤدى القرار إلى الهدف المقصود منه، وحتى إن تخلف الهدف فإن الدعاء يكسبه الرضا والسكينة بما قدره الله سبحانه بما يحفظ عليه توازنه الروحى.

---

(١) جى هولتن ولسون – الاقتصاد الجزئى – ترجمة: د. كمال سليمان العانى – نشر دار المريخ بالرياض – ١٩٨٧م صـ١٥.

رابعاً: الدعاء والعوامل الخارجية:

تتأثر التصرفات والأنشطة الاقتصادية بعاملين هما:

- العوامل الداخلية: التى تقع تحت سيطرة الإدارة.
- العوامل الخارجية التى لا يمكن للبشر التحكم فيها أو السيطرة عليها، مثل العوامل الكونية الإلهية ـ المناخ والفيضانات والبراكين والزلازل، والعوامل الاجتماعية مثل التقلبات الاقتصادية والسياسية.

وهذه العوامل الخارجية تؤثر وتساهم إلى حد كبير فى نجاح أو فشل العمل الاقتصادى

ومن أمثلتها الواقعة فى دنيانا الاعصار الذى حدث في بعض دول جنوب شرق آسيا أخيراً والذى أثر إلى حد كبير على اقتصادياتها تدميراً لما كان موجوداً من مبانى ومنشآت وتحولاً لكثيرمن القرارات السابق اتخاذها.

وعلى المستوى السياسى فإن حرب العراق على سبيل المثال أثرت اقتصادياً ليس على الأفراد والمنشآت والدولة فى العراق بل على كثير من الدول المجاورة بالإفادة للبعض والخسارة للبعض.

كما أن للعوامل الخارجية دور فى التحليل الاقتصادى الذى ما إن ندرس ظاهرة اقتصادية إلا وتبنى الدراسة على مقولة: «مع بقاء الأشياء الأخرى على حالها»[1].

وهذه العوامل الخارجية مجهولة للناس وليس فى قدرتهم التنبؤ بها وأخذها فى الاعتبار أو التحكم فيها وفى آثارها عند حدوثها، ولكن يعلمها خالقها المدبر للكون كله وهو الله عز وجل فهى من قبضاء الله عز وجل وقدره ومشيئته، ومن هنا فإن الدعاء يكون أحد الأمور التى يواجه بها الإنسان هذه العوامل بالطلب من الله ليس ردها وإنما أن تكون فى صالحه وأن يخفف عنه بلاءها.

ومن جانب آخر فمن المعروف أنه يوجد فى الاقتصاد ما يسمى بالدورات الاقتصادية التى يمر بها الاقتصاد فى أربع فترات: فترة رخاء ففترة أزمة ففترة كساد ففترة انتعاش ففترة رخاء أخرى وهكذا وتتراوح كل فترة بين ١٠، ١٢ سنة، والاقتصاد الوضعى المادى عجز عن تفسير أسباب هذه الدورات[2] التى تحدث بسبب عوامل وظروف لا يمكن للبشر التنبؤ بها أو التحكم فيها «فستانلى جينونز» أعاد الدورات الاقتصادية إلى البقع الشمسية التى تظهر فى الشمس بين فترة لأخرى وتؤثر على الجو، وبالتالى فى حالة الزراعة وتبعا فى كل من الصناعة

---

(١) جى هولتن ولسون – مرجع سابق – صـ٥٧.

(٢) د. أحمد جامع– مبادئ الاقتصاد الكلى – نشر دار المجمع العلمى بجدة ١٩٧٩ – صـ١٦٢– ١٩٦٥

والتجارة، و«هنرى مور» أعاد الدورات إلى هطول الأمطار، ويوجد تفسير آخر مبنى على أساس (سيكولوجى) نفسى مردُّه الخطأ فى الأحكام والقرارات التى يتخذها رجال الأعمال أو حالات من التشاؤم والتفاؤل غير معروفة السبب التى تشيع فى مجتمع الأعمال.

وأيًّا كان التفسير لهذه الدورات فإنه يظهر أن أسبابها نتيجة عوامل خارجية كونية أو نفسية من الله عزوجل، وبالتالى فإنه يلزم التوجيه لخالقها بالدعاء شكراً على فترات الانتعاش والرخاء وطلب استمرارها، وصبراً على فترات الكساد والأزمات وطلب تخفيف وطأتها.

خامساً: الدعاء ومواجهة المخاطر

لقد أصبح موضوع المخاطر التى تواجه النشاط الاقتصادى من الموضوعات الهامة لدرجة أنه ظهر فرع من العلوم الإدارية يسمى: «إدارة المخاطر والأزمات» يدرس تحديد أنواع المخاطر واحتمالات وقوعها والعمل على الحد منها وكيفية معالجة آثارها، ومع أن الواقع يشهد تقدماً فى هذا المجال سواء من حيث الدراسات أو الإجراءات، إلا أن المخاطر تتزايد بصورة كبيرة ولا يحدُّ منها ومن آثارها ما ابتكره الإنسان من أنواع التأمين ومن أساليب التحوط فى الاستثمارات، وهذه المخاطر باللغة الإسلامية هى البلاء الذي يقع بالناس ولا يملكون له رداً ويصيبهم بالقلق والخوف من وقوعه، وبالهم والحزن بعد وقوعه مما أدى إلى زيادة الأمراض النفسية الاقتصادية.

والدعاء من الأساليب التى يواجه بها المسلم البلاء بجانب الإجراءات المادية، فبعد أن يتخذ كل الأسباب للوقاية منها تصديقاً لقوله تعالى ﴿خذوا حذركم﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل» فإنه يلجأ إلى الله بالدعاء أن يقيه شر البلاء كما جاء فى حديث الرسول ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينتفع ما نزل وما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»[1].

---

(١) تحفة الذاكرين – للشوكانى – دار الثريا للنشر بالرياض – صـ٢٩.

وما أحوج الإنسان إلى اللجوء لله عز وجل وقت الشدة والاضطرار وهذه خاصية بشرية أثبتها القرآن الكريم لجميع الناس فى أكثر من آية مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ...﴾[1] وقوله عزوجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ...﴾[2].

ومن شأن الدعاء فى هذا الموقف إما أن يتحقق ما دعا به من المساعدة فى الوقاية من المخاطر أو تخفيف آثارها عليه فلقد جاء فى القرآن الكريم فى تعداد نعم الله على عباده فى صورة تقريرية للوقاية من المخاطر ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ ...﴾[3].

وإما أن يكسبه الدعاء راحة فى النفس وسكينة فى الصدر وتحمل للمخاطر والرضا بها والتسليم بقضاء الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ والثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[4].

---

(١) يونس: من الآية ١٢.
(٢) الروم: من الآية ٣٣.
(٣) النمل : من الآية ٦٢.
(٤) البقرة: الآية ١٥٥.

سادسا: الدعاء والرشادة الاقتصادية:

إن الاقتصاد اليوم يعانى من مشكلات خطيرة من أهمها ما يطلق عليه اقتصادياً الممارسات غير الأخلاقية والفساد وخيانة الأمانة، فمن الممارسات غير الأخلاقية، الغش فى السلع والخدمات، وتقديم المعلومات المضللة خاصة فى الإعلانات وفى المعاملات فى البورصات، والمعاملات الصورية (النجش) والفساد الذى ينحصر حسب تعريف البنك الدولى فى الرشاوى، وخيانة الأمانة بواسطة مجالس إدارات الشركات مما أظهر لمواجهة «حوكمة الشركات» وأصبحت مكافحة هذه الصور الشغل الشاغل للحكومات والمنظمات الدولية، ومع ذلك فشلت جميع الإجراءات القانونية والرقابية والإدارية فى ذلك، وآخر ما صدر عن الأمم المتحدة هو مشروع قانون نموذجى اشتمل فى أجزاء منه على نصوص بتقوية ودعم الجانب الخلقى وإعلاء القيم الفاضلة لتحقيق الرشادة والنزاهة وأن ذلك واجب رجال الدين، لأنه لا يمكن بناء نظام أخلاقى فعال ودعمه فى التطبيق بدون عون من الدين.

وإذا كان من شروط الدعاء كما سبق ذكره طيب الكسب من مصدر حلال فإن ذلك يساعد فى العمل على علاج هذه الممارسات المحرمة.

وهكذا يظهر أن الدعاء مطلوب اقتصادياً رجاء أن يقبله الله عز وجل فتتحقق معه البركة أو يدخره له فتهدأ نفسه وتستريح ويذهب عنه القلق والخوف والحزن، بل يكفى فيه أنه عباده لله عز وجل يتقرب الإنسان من

ربه ويجعله ذاكراً له، والله عزوجل جعل الإعراض عن الذكر سبباً في ضنك المعيشة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾[1]. ويقول في حق من يقتصر على الشروط المادية وينسى ذكر الله ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[2]. وليس الأمر مقصوراً على ذلك، ولكن علم الله بحاجة الإنسان للدعاء عامة والاقتصادي خاصة أوسع من علمنا ولذلك أمر به سبحانه وجاءنا ارشاداً وتعليماً من رسوله ﷺ وهذا ما سنحاول التعرف عليه في المبحث الثالث.

(١) طه: من الآية ١٢٤.

(٢) النجم : الآية ٢٩.

المبحث الثالث
نماذج من الأدعية الاقتصادية

الأدعية الاقتصادية وردت بكثرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة سواء فى صورة إخبار عن أدعية اقتصادية وردت على لسان الأنبياء عليهم السلام واستجاب الله سبحانه لدعائهم أو تعليمنا كيفية الدعاء، وهذا الورود بهذه الكثرة يدل على أن الدعاء الاقتصادى موجود ومطلوب، وأن وروده فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتطلب ممارسته لأن القرآن ليس كتاباً يتلى فقط وإنما يجب أن نتدبره ونؤمن بما جاء به ونعمل بما فيه حتى نستفيد من هديه ويتحقق إيماننا بالكتاب كما أمر ربنا عزوجل.

وبالطبع لا يمكننا فى هذه الورقة سرد كل الأدعية الاقتصادية من القرآن والسنة وإنما سنورد نماذج منها بنصها ودون تعليق منا وذلك على الوجه التالى:

أولا: أدعية اقتصادية من القرآن الكريم

أ- دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بتوفير الرزق لأهله فى مكان ليس به أى موارد اقتصادية حيث جاء فى القرآن الكريم ﴿وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[1].

---

(١) الآية ١٢٦ من سورة البقرة

ب- دعاء سيدنا سليمان عليه السلام بطلب الملك من الله عزوجل ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[1].

ج- دعاء سيدنا موسى عليه السلام حينما دعا على قوم فرعون دعوات اقتصادية منها قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[2].

د- يعلمنا ربنا سبحانه وتعالى فى الدعاء بطلب الحياة الطيبة فى قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] فهذه الآيات من جوامع الدعاء التى عمت الدنيا والآخرة .. وفى الصحيحين عن أنس قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبى ﷺ يقول: «اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة»[4]، وفسرت الحسنة فى الدنيا بالمال[5]، وقيل كل مطلوب دنيوى من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل»[6].

---

(١) الآية ٣٥ من سورة ص. (٢) الآية ٨٨ من سورة يونس

(٣) الآيتان ٢٠١، ٢٠٢ من سورة البقرة.

(٤) تفسير القرطبى- دار الغد العربى- ٩١٣/١

(٥) تفسير الطبرى- ٣٠٠/٢ .

(٦) تفسير ابن كثير- ١/ ٢٤٣-٢٤٤

هـ ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1].

و- طلب الرشد فى الأمور كلها فى قوله تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2].

ز- قوله تعالى فى طلب العلم الذى هو أساس المعرفة اللازمة للاقتصاد ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] والعلم هنا ورد منكّراً بما يعنى كل إدراك يفيد الإنسان توفيقاً فى القيام بواجبه فى إعمار الأرض وعبادة الله.

ح- قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4] ذلك أن الظلم والطغيان سبب مباشر لزوال النعم.

---

(١) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف

(٢) الآية ١٠ من سورة الكهف.

(٣) الآية ١١٤ من سورة طه

(٤) الآية ٢١ من سورة القصص.

ثانيا: أدعية اقتصادية من السنة النبوية الشريفة

ونذكرها حسب التصنيف التالى:

أ- أدعية لطلب الغنى وسعة الرزق والبركة فيه: ومنها ما يلى:

١. حديث: «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[١].

٢. حديث: «اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه السوق وشر ما فيها، وأعوذ بك أن أصيب بها يميناً فاجرة، أو صفقة خاسرة»[٢].

٣. حديث: «اللهم إنى أسألك غناى وغنى مولاى»[٣].

٤. حديث: «اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى»[٤].

٥. حديث دعاء الرسول ﷺ لأنس قال فيه: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته»[٥].

٦. حديث: «اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بفضلك عمن سواك»[٦].

---

(١) سنن ابن ماجه- ٢/١٢٦٠ حديث رقم ٣٨٣٢ .

(٢) مستدرك الحاكم- ١/٧٢٣ - رقم الحديث ١٩٧٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد- ٥/٤٠٩ حديث رقم ١٥٨٤٦ .

(٤) صحيح مسلم- ١٧/٤٢- حديث رقم ٦٨٤١ .

(٥) صحيح البخارى- ٤/١٠٣

(٦) مسند الإمام أحمد- ١/٤٢٤ حديث رقم ١٣١٩

٧. حديث: «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا»[١].

٨. حديث: «اللهم أغفر لى وارحمنى وعافنى وأرزقنى – وجمع أصابعه الأربعة إلا الإبهام وقال فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك»[٢].

٩. حديث: «اللهم إنى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى»[٣].

ب- أدعية للتعوذ من الفقر والدين والمشكلات الاقتصادية: ومنها مايلى:

١. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلّة والذلة وأعوذ بك من أن أضل»[٤].

٢. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»[٥].

٣. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال»[٦].

---

(١) مسند الإمام احمد- ١٤٧/١ حديث رقم ٢٢٣

(٢) سنن ابن ماجه- ١٢٦٤/٢ حديث رقم ٣٨٤٥

(٣) سنن ابن ماجه- ١٢٧٣/٢ حديث رقم ٣٨٧١ .

(٤) مسند الإمام احمد- ٢٠١/٣ حديث رقم ٨٠٣٩ .

(٥) مسند الإمام أحمد- ٨١٧/٦ حديث رقم ٢٠٦٥٢

(٦) صحيح البخارى- ١٠٧/٤

٤. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر»[١].

٥. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، اللهم اقض عنا الدين واغننا من الفقر»[٢].

٦. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع»[٣].

٧. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[٤].

٨. حديث: «اللهم إنى أعوذ بك من الجوع، وأعوذ بك من الخيانة»[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه- ١٢٦١/٢ حديث رقم ٣٨٣٨

(٢) سنن ابن ماجه- ١٢٥٩/٢ حديث رقم ٢٨٣١ .

(٣) سنن ابن ماجه- ١٢٦١/٢ حديث رقم ٣٨٣٨ .

(٤) صحيح البخارى- ٢٣٣٦/٥ - رقم الحديث ٥٩٨٧

(٥) صحيح البخارى ٤٨٣/١- رقم الحديث ١٥٤٧

الخاتمـــة

الدعاء من الفيوضات الإلهية على خلقه، وصلة مباشرة بين العبد وربه، وباب إلهى يلجأ إليه المضطرين من خلقه يجدر بالعارف بربه المعترف بفضله أن يلازمه ويحافظ عليه.

وأحسب أن الورقة أجابت على كثير من التساؤلات التى ترد على الذهن عندما تسمع كلمة الدعاء الاقتصادى منها ما يلى:

- هل نكتفى بالدعاء ونركن إليه؟ بالطبع: لا، فلقد ظهر فى الورقة أنه لابد من الأخذ بالأسباب وبذل الجهد مع الدعاء.
- هل بذل الجهد والسعى كاف بدون دعاء؟ لا: لأن المقصود هو الوصول إلى الحياة الطيبة بما فيها من وفرة الموارد ورغد العيش والنفس المطمئنة، والسعى قد يحقق الوفرة المادية ولكنه لا يحقق الرغد والاطمئنان، بل إن جهد الإنسان قاصر وسعيه محدود وبالدعاء ييسر الله سبحانه وتعالى له السبل، ويهديه إلى الأسباب المادية الحقيقية.
- لماذا ونحن مؤمنون بالله ندعوه بدعوات اقتصادية وحالنا متخلف اقتصادياً؟

أولا: لأننا فى أغلب الأحيان لا نلتزم بشروط الدعاء وآدابه.

وثانيا: لأننا لا نبذل الجهد والسعى المطلوبين، فبنظرة بسيطة على معدل الإنتاجية للعامل فى البلاد المتقدمة والبلاد المتخلفة يظهر

الفرق شاسعاً، كما أننا لا نستغل ما رزقنا الله سبحانه من موارد واستغلالاً حسناً.

- لماذا فى الغرب متقدمون اقتصاديا مع أنهم لا يمارسون الدعاء؟

أولا: من قال إنهم لا يمارسون الدعاء؟

ثانيا: لقد حققوا تقدما مادياً مصحوباً بمشكلات وأزمات إقتصادية ولكنهم لم يحققوا الحياة الطيبة فى جميع وجوهها.

وهم الآن يتجهون فى دراساتهم إلى ربط الاقتصاد بالأخلاق والدين لعلاج ذلك.

وأخيراً فى مسح بسيط قمت به على بعض رجال الأعمال وكبار المهنيين الناجحين وجدت أنهم جميعاً دائمى الدعاء لله عزوجل وأن الدعاء يفيدهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد إنه سميع الدعاء،،

طبع بمطبعة مركز صالح كامل
للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر بمدينة نصر
☎: ٢٦١٠٣٠٨

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١١٤١١
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-355-036-02